ابن مَنْ يا فاجرة ؟

للدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

كانت فاجرة لأنها ادعت ابنها الوليد لغير أبيه ، وهى تعلم أنه لأبيه . وكان الرجل المتهم فى عرضه ، المقدوح فى طهارته ، رجلاً من ذوى الثراء ، جمع من المال ما جمع فى أيام صباه ، من أعمال واسعة النطاق ، وأشغال استغرقت كل زمانه فألهته عن ملذات الجسم ومُتع الشباب . وبلغته الشيخوخة على حين غفلة ، فأراد أن يدرك الفائت ، وأن يلحق بالهارب ، وأن يذكر نفسه ، ويسترجع حسه ، ويستجمع بقايا شبابه ، فطلب الأنثى الشابة ، فجاءته إناث كثيرات ، فعلم أنهن لم يُردنه ، وإنما أردن ماله ، وكان كلما أنس من بعضهن إلى الجناب الرفيق والصدر الحنون ، وكاد يَهِمّ بالخطبة ، هتف فى نفسه الهاتف يقول : جناب عن قريب ينبو ، وصدر لا يلبث أن يخون . وظل على هذه الحال زماناً ، يحدوه أمله ، وتردّه سنّه ، وقام تراؤه يتهم كل امرأة ولو أخلصته النية ، ورضيت صادقة برعايته وحضانته وبتمريضه بكل ما فيها من أنوثة

وفى أثناء ذلك اتصل بأحد المقرّبين اليه من مستخدميه ، فشكا له الوحدة تحرّضاً ، فذهب هذا المقرّب إلى زوجته تلك الليلة يذكر لها الشكوى . وفى الصباح أتت الثرىّ من الزوجة دعوةٌ على طعام ، وتلت تلك الدعوة دعوات ، فى حضرة الزوج ، وفى غير حضرة الزوج ، وكثيراً ما حضرها الشباب من الصحاب ، فامتلأت البطون ، واحتر الدم بالرقص والشراب ، وكثيراً ما نسى الشيخ وقاره فى تلك الأجواء الرائطة ، فنال من الزوجة المضيافة القبلة بعد القبلة ، فأعطت عن سخاء ، على أعين ضيوف اليوم الفرحين ، وشهود الغد المُحرَجين .

فلما ولد المولود ، وهمّ الشيخ بالتبريك ، جاءه رسول القضاء يعلن اتهامه . وانعقدت المحكمة ، وجاءها الشهود كأنما كانوا على موعد ، فأثبتوا روحانه وجيئاته ، وأثبتوا إختلاءه ، وأثبت الزوج نفيه ، ولم يبق على استقلال الطفل بكل تلك الثروة الواسعة من بعد أبيه إلا حكم المحكمة

وفى اللحظة الأخيرة طلب الدفاع نجدة العلم ، والالتجاء الى المعمل عسى أن تكون عنده الشهادة التى لا تُرَد ، وفى الغد أو الذى يليه احتكموا عند أحد الاخصائيين المحلّفين الى قطعة زجاج ، وبعض سوائل فى أنابيب ، ثم الى المكرسكوب — جمادات كلها لاتكذب إذا كذب الانسان . وبذلك ، وبذلك وحده ، نجا الشيخ من الشرك ، ونذر ماعاش أن يبتعد عن الآنسات ميلاً ، وعن المتزوجات أميالاً .

ثم غلب التهمة الملحّة فى نفسه واقترن بأرملة ، باعدت عنه الريب وحملت عنه أعباء الحياة

أما هنا اليوم ففى تلك الأشهاد من الجماد . وقصة ذلك أن الدم الانسانى يتركب من كُرات حمراء وأخرى بيضاء ، يَسْبحن فى سائل يُسمى المصل ، عديم اللون أو هو كلون زلال البيض ، يحتوى عدة مواد ذائبة فيه . وقد كشف العلماء فى الكرات الحمراء عن مادتين تسمى أولاهما ألفاً والثانية باء . ووجدوا فوق هذا أن الكرات الحمراء للرجل (أو المرأة) قد تحتوى على المادة ألف وحدها ، وقد تحتوى على المادة باء وحدها ، وقد تحتوى عليهما معاً ، وقد تخلو منهما جميعاً . وبناء على ذلك قسموا الناس الى مجموعات أربع : مجموعة ألفيّة ، ومجموعة بائيـــة ، ومجموعة ألفبائية ، ومجموعة صفرية ، نسبة الى الصفر فى قولك رجل صفر اليدين أى خاليهما . فانا وأنت وكل أحد لا بد واقعون فى أحد هذه الأقسام . وتعرف المجموعة التى ينتسب اليها الفرد من تفاعلات تقع بين الدماء عند خلطها . فهب أنى أنا من المجموعة الألفيـة ولا تخر ، وهب أنك أنت من المجموعة البائية ولاحظ من قدرك ، فلو أنك أخذت شيئاً من دمى ، وفصلت عنه مصله ومزجته بنقطة من دمك لتجمعت كراتك الحمراء وتزاحمت فى هلع وارتياع ، كقطيع النعاج داهمها الذئب ، فاتخـــذت تحت المكرسكوب شكل عنقود العنب . وسبب هذا أن بدمى مادة معادية خصيمة لكراتك الحمراء ، أو بالأحرى للمادة البائية التى بها . وعلى هذا تسمّى مادتى هذه بالخصيمة البائية .

ولو أنك مزجت مصل دمك بدمى لتعنقدت كراتى الألفيّة كذلك ، لأن بمصلك الخصيمة الألفية . فبدمى إذن المادة الألفية والخصيمة البائية ، وبدمك أنت المادة البائية والخصيمة الألفية ، والزوجان فى دمك وفى دمى بالطبع على غاية المحبة والوفاق وإلا لتعنقدت كراتنا جميعاً وودعنا الحياة ، لأن تلك الكرات لابد من تفاذها فى الشعيرات الدموية الرفيعة التى تصل ما بين الأوردة والشرايين

وهناك دم ثالث نستعير لشرحه صديق الأستاذ الزيات، فدم الأستاذ تجمع كراته الحمراء المادتين ألفاً وباء معاً، فلو أنك

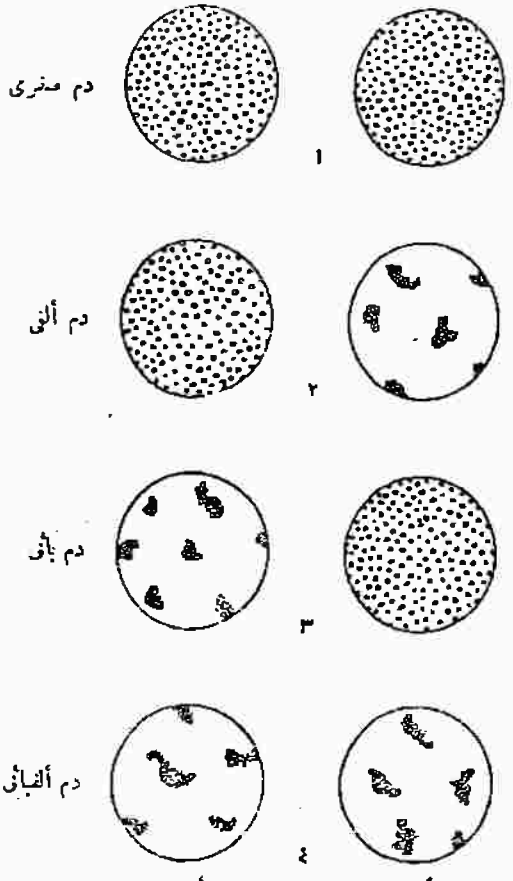

فى كل سطر أفقى قطرتان من دم واحد أضيف إلى يسراهما مصل من دم ألفى وإلى يمناهما مصل من دم بائى فكانت النتيجة المكتوبة أمام كل من الدماء الأربعة

خلطت نقطة من مصلى بقطرة عزيزة من دمه لتعنقدت كراته، ولو أنك خلطت نقطة من مصلك بتلك القطرة لتعنقدت كذلك، فصديق الزيات من المجموعة الألفبائية. أما الدم الرابع فخالية كراته من كلتا المادتين فهى لا تتعنقد لا بمصلى ولا بمصلك.

وتابع العلماء دراسة دماء الناس فى نواحى المعمورة تقصياً فى البحث، وامتحنوا دماء الصغار والكبار، والأبناء والآباء لآلاف من الأسر ليتعرفوا العلاقة التى قد تكون بين الولد والأصلاب والأرحام التى انحدر منها، فوجدوا قوانين مطردة على مقتضاها ينسل الناسل. من ذلك أنهم وجدوا أن الطفل الألفى يتحتم أن يكون من أبوين أحدهما على الأقل ألفى. وأن الطفل البائى يتحتم أن يكون من أبوين أحدهما على الأقل بائى. وأن الأب أو الأم إن كان أحدهما ألفبائياً ورّث كلا من بنيه ألفاً أو باء. فالرجل الألفبائى لا ينتج طفلاً صفرياً. كذلك إن كان الطفل ألفبائياً تحتم أن يكون قد ورث ألفاً من أحد أبويه وباءً من الآخر؛ ومثل هذا الطفل لا ينتج عن أب صفرى

وفى قضية الشيخ المثرى التى فات ذكرها امتُحن دم الزوجة بأخذ قصرة دم من أنملها، وقسمت القطرة قطرتين، مُزجت

الرجل يعطى من دمه

إحداهما بمصل الخصيمة الألفية فتعنقدت كراتها، ومزجت الأخرى بمصل الخصيمة البائية فلم تتعنقد الكرات، فقضى بأن الأم من الفصيلة الألفية. وامتُحن دم الوليد على هذا النحو فكان من الفصيلة البائية، فلزم على هذا أن يكون أباه بائياً أو ألفبائيا. فامتحن الزوج فكان بائياً. وامتحن الشيخ فكان صفرياً، فنجا على أن امتحان الدم قد لا يؤدى الى نتيجة حاسمة. فلو أن الشيخ كان بائياً أو بائياً ألفياً لجاز أن يكون الوليد من صلبه، ولجاز أيضاً ألا يكون. وقد حسب حاسب عدد الحالات التى يمكن فيها الجزم بوالد الطفل منسوبة الى الحالات جميعها التى يحدث فيها اشتباه، فوجد أنها تبلغ الثلث

وأزيد أن أنبه أن المعمل قد يبرّىء، ولكنه لا يستطيع وحده أن يتهم أحداً. فهب أن الولد كان بائياً، والأم ألفية، وكان زوجها ألفياً، وامتحن الشيخ فكان بائياً، فهل يُقطع بأبوة الشيخ من أجل شهادة المكرسكوب وحدها؟ كلا. فكم من الرجال بائيون! ولم لا تكون الزوجة اتصلت بأحدهم؟ وإذن كان يتحتم على الاتهام إثبات ما كان بين الشيخ والمرأة فى مسالك الحياة

أحمد زكى